



شهيدة آل بيت محمد (ص)

اسم القصة: شهيدة آل بيت محمد(ص)
إعداد :أمل طنانة
مراجعة وتصحيح: نضال علي
رسوم: سعيد عبد الساتر
إخراج وتنفيذ: محمد الناصري
الناشر: مؤسسة الأعلمي

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

Published by Aalami Est
Beirut Airport Road
Tel:01/4504526 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ - فاكس:٠١/٤٥٠٤٢٧
صندوق بريد: ٧١٢٠

www.alaalami.com
E-mail:alaalami@yahoo.com

سلسلة السيرة الفاطمية(ع)



شهيدة آل بيت محمد(ص)



راحتِ الذّكرياتُ تنهالُ على قلبِ البتولِ(ع) بالأسى والمرارةِ، وهي ترى أباها النبيَّ(ص) على فراشِ آلامِهِ، يُعاني ما يعانيهِ من مخاوفَ لا تفتأُ تعذّبُه في رحيلِهِ إلى الفِردوسِ الأبديِّ، بقلقٍ لا يهدأُ، لما سيحلُّ بحبيبةِ قلبِهِ وقرّةِ عينِهِ، الّتي ينتظرُ حاسِدوها يومَ رحيلِ النّبيِّ(ص) ليوجّهوا نحوَها سهامَ الحقدِ والحسدِ.

لقد تذكّرَتْ كلَّ أيّامِ العزِّ الّتي ظلّلَتْ عمرَها في كنفِ أبيها خاتمِ الأنبياءِ والمرسلينَ. تذكّرتْ يومَ فتحَ جيشُ محمّدٍ(ص) مكّةَ، ودخلَ النّاسُ في دينِ اللهِ أفواجاً، فوقفَتْ بينَ يدي اللهِ سبحانَهُ تسبّحُهُ وتحمدُهُ على نعمتِهِ العظيمةِ.

وتذكّرتْ زوجَها حاملَ ألويةِ محمّدٍ(ص) متقدّماً جيوشَهُ ليفتَحَ اللهُ سبحانَهُ على يديهِ.وتذكَّرتْ جراحَهُ الّتي لم يكنْ يشفيهِ من آلامِها، إلاّ رؤيتُهُ دولةَ الإسلامِ في عزٍ وسؤدَدٍ، ودولةَ الكُفرِ في ذلٍّ وتقهقُرٍ.



وتذكّرتْ أُمَّها خديجةَ(ع)، وهي تبذلُ في سبيلِ اللهِ كلَّ ما تملِكُ من مالٍ ومن راحةٍ، صابرةً محتسبةً، حامدةً شاكرةً اللهَ على كلِّ ما آتاها من خيرٍ.

وتذكّرَتْ ما اختَصَّها اللهُ سبحانَهُ بِه من كرامةٍ وعلوٍّ، إذ دعاها النّبيُّ(ص) معَ زوجِها عليٍّ(ع)، وولديها الحسنِ والحسينِ(ع) يوماً، فأخذَ كساءً مذكيّاً، وجلّلهُمْ بهِ.وفي ذلكَ الموقفِ المباركِ أخذَ بطرفي الكساءِ، وأومى بيدِهِ اليمنى إلى السّماءِ، وقالَ:" اللّهُمَّ، إنَّ هؤُلاءِ أهلُ بيتي، وخاصَّتي وحامَّتي. لحمُهُم لحمي ، ودمُهُم دمي، يؤلمُني ما يؤلِمُهُم، ويُحرِجُني ما يُحرِجُهُم، أنا حربٌ لمَنْ حارَبَهُمْ، وسِلْمٌ لمَنْ سالَمَهُم، وعدوٌّ لمَنْ عاداهُم، ومُحِبٌّ لمنْ أحبَّهُم، إنّهُم منّي وأنا منهُم، فاجعَلْ صلواتِكَ وبركاتِكَ ورَحمَتَكَ وغُفرانَكَ ورضوانَكَ عليَّ وعليهِم، وأذهِبْ عنهُمُ الرِّجسَ وطهّرْهُم تطهيراً".



نعم، ومـا زالتِ الزّهراءُ(ع) تذكُرُ_وكيفَ لها أن تنسى_ أنَّ اللهَ سـبحانَهُ قالَ:" يا ملائكتي ويا سكّانَ سـماواتي! إنّـي ما خلَقْتُ سـماءً مبنيّـةً، ولا أرضاً مدحِيّةً، ولا قمَراً مُنيراً، ولا شمساً مضيئةً، ولا فَلَكاً يدورُ، ولا بَحْراً يجري، ولا فُلْكاً تَسْري إلاّ في مَحَبّةِ هؤلاءِ الخمسةِ الّذينَ هُمْ تَحْتَ الكِساءِ.".

ثمّ أَرْسَلَ جبرائيلَ(ع) بالوحيِ إلى النّبيِّ(ص)، حاملاً إليـهِ آيةَ التّطهيرِ، فقرَأَها النّبيُّ(ص) عليهِم: (إنّما يريدُ اللهُ ليذهِـبَ عنكُـمُ الرّجـسَ أهلَ البيـتِ ويطهِّرَكُمْ تطهيـرا) مِن دونِ أن يأذنَ لغيرِهم بأنْ يشـاركَهُم في ذلكَ الموقفِ المقدّسِ، بأمرٍ منَ اللهِ سبحانَهُ.

لـم تكُـنْ هذهِ الصّوَرُ سـوى رذاذٍ منَ الماءِ، وقد لفَظَتْها أمواجُ المحيطِ الكبيرِ منَ الذّكرياتِ. وها هيَ الآنَ تتسـاءَلُ في سـرِّها: بعدَ كلِّ هذا، كيفَ يمكنُ لهـؤلاءِ النّاسِ أنْ يُؤذوا بنـتَ النّبيِّ(ص)، وهُم على عِلْـمٍ بما لها مِنْ كرامةٍ عنـدَ ربِّها، وما لها مِنْ قرابةٍ من سيِّدِ الأنبياءِ والمرسلينَ(ص)؟



فـــي الواقِعِ ما كانَ همُّ بنتِ النّبيِّ(ص) في تلكَ الأوقــاتِ العصيبــةِ سِــوى أنْ تطمَئِنَّ إلــى صِحَّةِ أَبيها، بَعْدَ أنْ حَرَّقَتْ آلامُهُ فُؤادَها، وَجَرَّعَتْها خَوْفاً وَأَسىً مَريرَيْنِ.

فالنّـــاسُ يظنّــونَ أنَّ مرضَ النّبـــيِّ(ص) ليسَ إلاّ انتكاســةً صحّيّةً عابرةً، ولنْ يلبثَ أن يستعيدَ قِواهُ بعدَ أنْ يأخُذَ قِسطاً منَ الرّاحةِ والهُدوءِ.

ولكن، هيهاتِ. إنَّ في قلبِ البتولِ(ع) شُـعوراً مختلفاً عَمّا يظنّونَ. هو شعورٌ يشعِلُ نارَ الهلَعِ في صدرِهــا كُلَّما تذكّــرَتْ حجّةَ الــوداعِ، وما قالَهُ النّبيُّ(ص) للنّاسِ فيها:" لعلّي لا ألقاكُم بعدَ عامي هذا.".

ليسَ هذا فحســبُ، بلْ إنّهُ راحَ يجمَعُ أصحابَهُ، ويوصيهِمْ بآلِ بيتِهِ، ويقولُ:" . . ألا وإنّي مخلِّفٌ فيكُم كتابَ اللهِ ـ عزّ وجلَّ ـ وعترتي أهلَ بيتي.".

إنَّ الزّهــراءَ(ع) تفهَــمُ معنى كلِّ هذا، فيا لقلبها الرّقيقِ كم ستمرُّ عليهِ محنٌ وهمومٌ!



لـــم يكُنْ في إمْـــكانِ الزّهـــراءِ(ع) أن تتركَ أباها لحظةً واحدةً، فقدِ اشتدَّ مرضُهُ، وازدادَتْ آلامُهُ.

إنَّها قُرْبَ سريرِهِ، تشمُّهُ وتصيحُ:" وا كَرْبي بِكَ يا أبتاهُ. . وا كَرْبي لكَرْبِكَ يا أبَتاهُ.".

أمّـــا النّبيُّ(ص)، فَراحَ ينظُرُ إليها بعطفٍ وحنانٍ، وفي عينيهِ نظرةُ وَداعِ العازمِ على الرَّحيلِ عنْ هذهِ الدُّنيا وما فيها.

فتسمَعُ صَوتَهُ الضَّعيفَ، يقولُ لها:" لا كَرْبَ على أبيكِ بعدَ اليومِ.".وراحَ يوصيها بالصّبرِ والتّقوى، ثمَّ دعا النّبيُّ(ص) عليّاً، والحســنَ والحسينَ(ع)، وقالَ لمـنْ في بيتِـهِ: "أخرُجوا عنّي.". وقالَ لأمِّ سَـلَمَةَ: "كوني على البابِ فلا يقرَبهُ أحدٌ. ".

ثُـــمَّ قالَ لعليٍّ(ع): " أدْنُ منّي". فدَنا منهُ ،فأخذَ بيدِ فاطمـــةَ(ع) فوضعَها على صدرِهِ طويـــلاً، وأخذَ بيدِ علـــيٍّ بيدِهِ الأُخـــرى، ومـــا أن همَّ رســـولُ اللهِ(ص) بالكلامِ حتّى غلَبَهُ البُكاءُ، ولم يقُلْ شيئاً، فكيفَ حالُ الزّهراءِ(ع)؟؟.



بكتِ البتولُ(ع)، وبكى عليٌّ والحسنُ والحسينُ(ع)، وقالتْ عليها السّلامُ، ودموعُها تبلّلُ حُروفَها بالأسى واللّوعةِ:"يا رسولَ اللهِ! قد قطّعْتَ قلبي، وأحرقْتَ كبدي لبُكائِكَ يا سيِّدَ النّبيّينَ منَ الأوّلينَ والآخرينَ، ويا أمينَ ربِّهِ ورسولِهِ، ويا حبيبَهُ ونبيَّهُ، مَنْ لِولَدي بعدَكَ؟ وَلِذُلٍّ ينزِلُ بي بعدَكَ؟ مَنْ لِعَليٍّ أخيكَ وَناصِرِ الدّينِ؟ مَنْ لِوَحْيِ اللهِ وأَمرِهِ؟".

ثمَّ ازدادَ بُكاؤُها، وانحَنَتْ على وَجْهِ النّبيِّ(ص) تقبِّلُهُ، وكذلكَ فعلَ الإمامُ عليٌّ(ع)، وابناهُ الحسنُ والحسينُ(ع)، فرفعَ النّبيُّ(ص)رأسَهُ إليهِمْ، ويدُ فاطمةَ(ع) في يدِهِ، فوضَعَها في يَدِ عليٍّ(ع)،وقالَ لهُ:" يا أبا الحسنِ! وديعةُ اللهِ، ووديعَةُ رسولِهِ محمّدٍ عندَكَ، فاحفَظِ اللهَ واحفَظني فيها، وإنّكَ لفاعلٌ هذا.".

وقال(ص):" يا عليُّ هذهِ -واللهِ- سيّدةُ نساءِ أهلِ الجنّةِ منَ الأوّلينَ والآخرينَ، هذهِ-واللهِ- مريمُ الكبرى.".



مرّتْ ساعةُ فارقَ فيها النّبيُّ(ص) الحياةَ على الزّهراءِ(ع) وعلى عليٍّ(ع) والحسنينِ(ع) مُرّةً وقاسيةً، والنّبيُّ(ص) واضعٌ رأسَهُ على صدرِ عليٍّ(ع)، وقد ضمَّ البتولَ(ع) إلى صدرِهِ ودموعُهُ تنهمرُ على وجهِهِ الشّريفِ ولحيتِهِ المباركةِ بغزارةٍ.

أمّا الحسنُ والحسينُ(ع) فقد راحا يقبّلانِ قدمي جدِّهِما النّبيِّ(ص) وهما يَبْكِيانِ بحرقةٍ وألمٍ.

وبعدَ وقتٍ قصيرٍ أسلَمَ النّبيُّ(ص) الرّوحَ إلى بارئِها، وأعْلَنَ الإمامُ عليٌّ(ع) وفاتَهُ منادياً في القومِ: "أعظمَ اللهُ أجورَكُم في نبيِّكُم، فقد قبضَهُ اللهُ إليهِ.". فارتفعَ البكاءُ والنّحيبُ بينَ النّاسِ، وانهمَرَتِ الفَاجعةُ مَطراً ابتلَّتْ بهِ كلُّ أرجاءِ الأرضِ بالدّمعِ والأسى.

وراحتِ البتولُ(ع) بقلبها المفطورِ، تصوغُ من آلامِها ما أسعفَتْها بهِ اللّغةُ، وأعانَتها عليْهِ البلاغَةُ والكلماتُ.



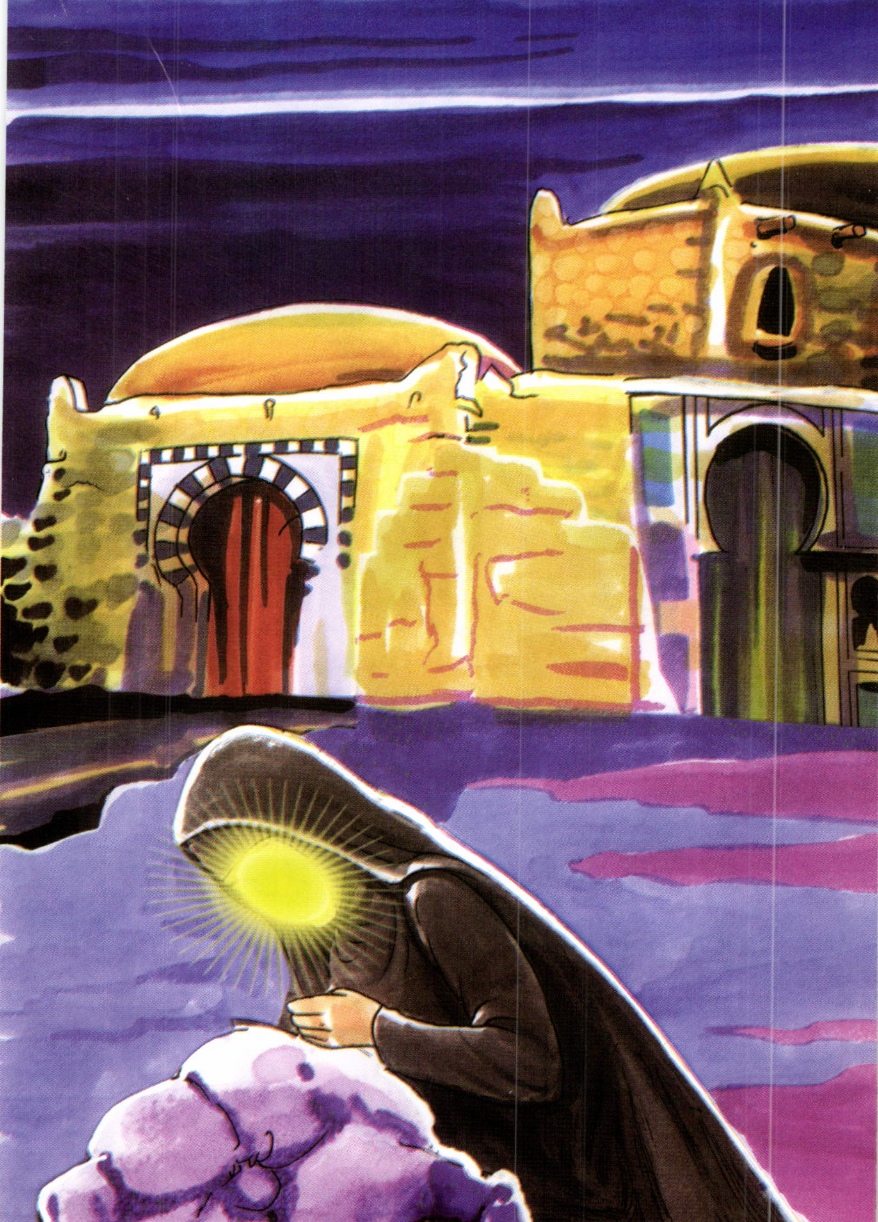
وَبَكَتِ النّساءُ بألم، وهُنَّ يسمَعْنَ الزّهراءَ(ع) تقولُ:" يا أبتاهُ مِنْ ربِّهِ ما أدناهُ! وا أبتاهُ جنّةُ الفردوسِ مأواهُ! وا أبتاهُ إلى جبرائيلَ ننعاهُ! وا أبتاهُ أجابَ ربّاً دعاهُ!".

واهتمَّ الإمامُ عليٌّ(ع) بتغسيلِ النّبيِّ(ص) وتحنيطِهِ وتكفينِهِ والصّلاةِ عليهِ، فيما راحتِ الزّهراءُ(ع) تصلّي مع أوّلِ مَنْ صلّى، ولم تتوقّفْ عنِ البُكاءِ لحظةً واحدةً.

أمّا حزنُها الّذي لم يُعرَفْ لهُ في الزّمانِ مثيلٌ، فقد أبكى أقسى الحجارةِ، وراحتْ تردّدُ:" إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعونَ.".

ثمَّ قالَتْ لأنسِ بنِ مالكٍ بعدَ أن عادَ النّاسُ من دفنِ النّبيِّ(ص):" أطابَتْ نُفوسُكُم أن تحثوا على رسولِ اللهِ التّرابَ؟".

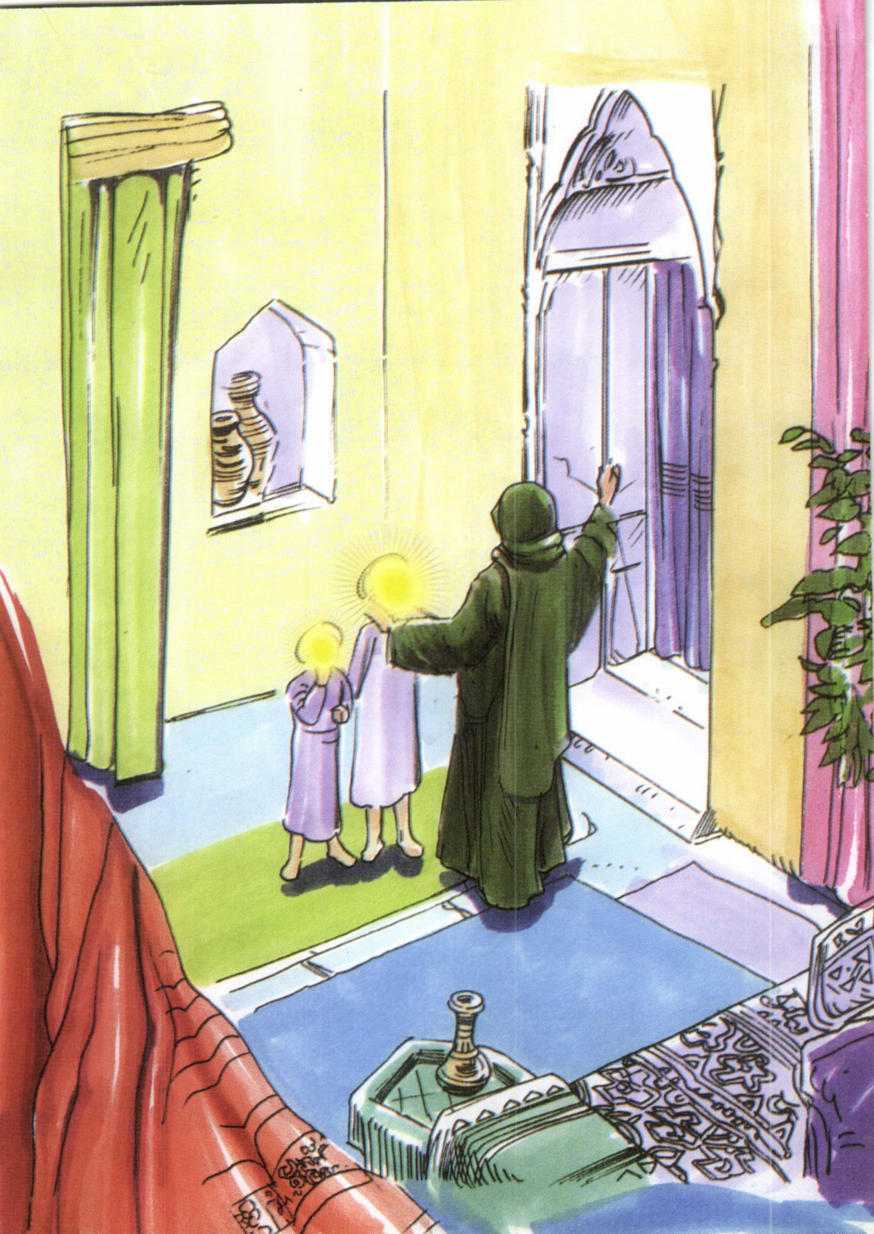
وظلّتْ عليها السّلامُ بعدَ ذلكَ سبعةَ أيّامٍ لا تهدأُ ولا تستكينُ، والحزنُ يعتصِرُ فؤادَها، وهيَ تحاولُ جاهدةً أن تتجلّدَ وتصبرَ.



وفي اليومِ الثّامنِ بعدَ رحيلِ النّبيِّ (ص)، فاضَ الحزنُ في قلبِ البتولِ (ع)، وعجِزَتْ عنْ مغالبةِ أساها، فخرجَتْ بينَ النّساءِ تبكي، وتندُبُ أباها النّبيَّ (ص)، وهيَ تصيحُ: " وا أبتاهُ! وا صفيّاهُ! وا محمّداهُ! وا أبا القاسماهُ! وا ربيعَ الأراملِ واليتامى! مَنْ للقِبلةِ والمُصلّى؟ ومَنْ لابنتِكَ الوالهةِ الثّكلى؟".

وراحَتِ البتولُ (ع) تحثُّ الخطى نحوَ قبرِ أبيها النّبيِّ (ص)، وما أن رنَتْ إلى الحُجرةِ ووقعَ بَصرُها على المئذنةِ حتّى أُغميَ عليها، فأسرعتِ النّسوةُ إليها يُسعفْنَها بالماءِ حتّى استردّتْ وعيَها، وعادَتْ إلى بكائِها من جديدٍ.

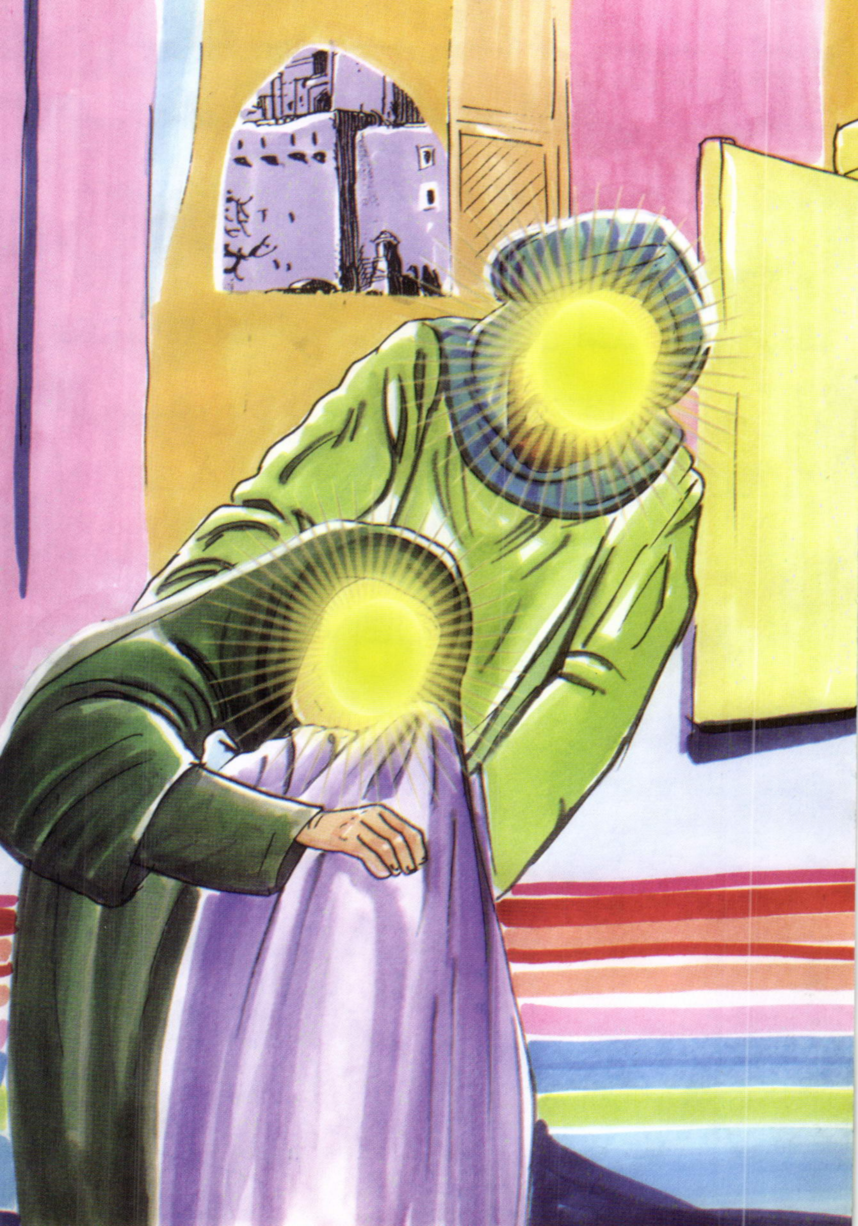
هكذا كانتِ الزّهراءُ (ع) لا ترى مِنْ حولِها إلاّ ما يحملُ إليها ذكرى تنهشُ قلبَها، وتُدمي فؤادَها...



حتّى ولداها الحسنُ والحسينُ عليهِما السّلامُ؛ فما كانَ بصرُها يقعُ عليهِما حتّى تنهالَ عليها الفاجعةُ بالدّمعِ والأسى والذّكرى، فتقولُ لهُما: " أينَ أبوكُما الّذي كانَ يُكرِمُكما ويحمِلُكُما مَرّةً بعدَ مرّةٍ؟ أينَ أبوكُما الّذي كانَ أشدَّ النّاسِ شفقةً عليكُما، فلا يدَعُكُما تمشيانِ على الأرضِ، لا أراهُ يفتَحُ هذا البابَ أبداً، ولا يحمِلُكُما على عاتِقِهِ، كما لم يزلْ يفعلُ بكُما؟!".

يا لهولِ الأيّامِ التّاليةِ لفقدِ النّبيِّ (ص) على قلبِ الزّهراءِ (ع)، إذ إنّها سألتْ بلالاً (رضيَ اللهُ عنهُ) مؤذّنَ الرّسولِ (ص) أن يُقيمَ الأذانَ، فانطلَقَ نحوَ المسجِدِ وقالَ: " اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ". فتذكّرتِ البتولُ (ع) النّبيَّ (ص)، وأجهشَتْ بالبُكاءِ.

وأكملَ بلالٌ الأذانَ حتّى بلغَ قولَهُ: " أشهَدُ أنَّ محمّداً رسولُ اللهِ ". حينها شهَقتِ الزّهراءُ عليها السّلامُ، وسقطَتْ مُغمىً عليها.



ولقَد سـألتِ الإمامَ عليّاً(ع) أن يأتيَها بالقميص الّذي غسـلَ النّبـيّ(ص) فيهِ يومَ وفاتِـهِ، قائلةً لهُ: " أرِني القميصَ.".

فكانَتْ تشُـمُّهُ، وكلَّما شمّتْهُ غشيَ عليها، ما دعا الإمامَ (ع) إلى إخفائهِ عنها.

لـم ينتهِ حزنُ فاطمةَ(ع) أبداً بعدَ وفاةِ النّبيِّ(ص)، حتّـى تضايقَ أهـلُ المدينةِ من كثـرةِ بكائها، فبنى الإمـامُ علـيٌّ(ع) بيتاً لهـا في البقيـعِ، كي تذهبَ البتـولُ(ع) إليهِ كلّمـا غلبَتْها دمعتُهـا فتبكي أباها الرّسولَ(ص) قدرَ ما شاءَتْ. وقَد عرَفَ النّاسُ ذلكَ البيتَ وسمّوهُ بيتَ الأحزانِ.

ومـا كانتِ الأحـداثُ المتلاحقةُ بعـدَ ذلكَ إلاّ لتزيدَ الزّهراءَ(ع) أسىً ولوعةً. فلم يكدِ النّبيُّ(ص) يُـوارى الثّرى، حتّى أُعلنَـتِ الخلافةُ لأبي بكرِ بنِ أبي قُحافةَ!

لـم تصدّقِ الزّهراءُ(ع) كيفَ فعلَ المسـلمونَ ذلكَ بعدَ أن سـمعوا النّبـيّ(ص) يوصي صراحةً لأخيهِ وابنِ عمّـهِ زوج البتولِ(ع) الإمامِ عليَّ بنِ أبي طالبٍ(ع)!



أمّا الإمامُ أبو الحسنِ (ع) فقالَ لمن سألَهُ عن موقفِهِ في ذلكَ اليومِ قولاً أذهلَ النّاسَ، وأضرَمَ أحزانَهُم من جديدٍ! قالَ الإمامُ (ع): "أفَكُنْتُ أدَعُ رسولَ اللهِ في بَيْتِهِ مسجّىً.. بلا غُسلٍ.. ولا تكفينٍ،.. وأخرجُ أُنازِعُ القومَ الخلافةَ؟".

نعم، لقدِ اجتمعَ القومُ في سقيفةِ بني ساعدةَ، ونصّبوا خليفةً، فيما الخليفةُ الشّرعيُّ الّذي نصَّ النّبيُّ (ص) بخلافتِهِ كما أمَرهُ اللهُ، يقومُ بواجبِهِ في تجهيزِ النّبيِّ (ص) وتشييعِهِ إلى مثواهُ الأخيرِ!

وهلِ انتهى ظُلمُ القومِ لآلِ بيتِ النّبيِّ (ص) عندَ هذا الحدِّ؟

لا! لقد أرادَ أبو بكرٍ أن يُرغِمَ الإمامَ (ع) على مُبايعَتِهِ، وأرسَلَ إلى بيتِ بنتِ النّبيِّ (ص) الّتي لم يتوقّفْ دمعُها، ولم تهدأْ آهاتُها، أرسلَ عُمَرَ بنَ الخطّابِ ومعَهُ رهطٌ منَ النّاسِ يطلُبُ منهُ أن يبايعَ أبا بكرٍ، وإلاّ أحرقَ بيتَهُ على مَنْ فيهِ!


محسن

وكانَتِ البتولُ(ع) تحملُ جنيناً في شهرِهِ السّادسِ، فلمّا هجَمَ القومُ على بيتِ الإمامِ(ع) كي يُخرِجوهُ إلى المبايعةِ، وقفتِ البتولُ(ع) خلفَ البابِ فعصروها بهِ عصرةً شديدةً.

إنّها تعلمُ أنَّ الإمامَ (ع) قادرٌ على أن يُشعلَ حرباً للوصول إلى حقِّهِ، ولكنّها تعلَمُ أيضاً أنَّهُ لن يقبَلَ بأن تُثارَ فتنةٌ بينَ المسلمينَ يُمكِنُ أن تُزهَقَ فيها أرواحُ النّاسِ، وتتهدّدُ بها وحدةُ المسلمينَ.

ولم يكتفِ أولئكَ الحاقدونَ بنَزْعِ الخلافةِ من أصحابِها، بل إنَّهُم قاموا بسَلبِ البتولِ(ع) أرضاً أعطاها لها النّبيُّ(ص)، بعدَ أن أمرَهُ اللهُ سبحانَهُ بذلكَ في القرآنِ بقولِهِ: (وآتِ ذا القُربى حقَّهُ) وكانت تلكَ الأرضُ من فيْءِ النّبيِّ(ص)،

فأرسلَ أبو بكرٍ منِ انتزَعَ تلكَ الأرضَ من وكيلِ البتولِ(ع).



وأسـقطتِ الزّهراءُ(ع) جنينَها، وراحَتْ تئنُّ مـنَ الألَمِ الفظيعِ الّذي لم تنتهِ فصولُهُ في ذلكَ اليـومِ! ولكن كيـفَ كانَ موقفُها (ع) إزاءَ ما أَلحقَ بهِا أولئكَ القومُ من ظلمٍ وجورٍ؟

كانـتِ الزّهـراءُ(ع) تنتظـرُ كلَّ لحظةٍ تجدُ لدَيهـا فيها القوّةَ على النّهـوضِ، لتُطالبَ فيها بحقِّها وحقِّ آلِ بيتِ النّبيِّ(ص).

حتّى إنّها دخلَتْ مسجدَ النّبيِّ(ص) وخطبَت فيهِ خُطبةً جلَتْ فيها كلَّ الحقائقَ، ولكنَّهُم أبوا أن يعيـدوا لها حقّاً، فاعتلّت صحّتُها ومرِضَتْ وغـادَرتِ الدُّنيـا مظلومةً مقهـورةً، وأولادُها أطفالٌ صغارٌ، بعـدَ أن أوصتِ الإمامَ عليّاً(ع) بأن يدفنَها ليلاً لا نهاراً، وسـرّاً لا جهاراً، وأن لا يُعلِمَ أحداً بمكانِ قبرِها، ولا يُشهِدَ جنازَتَها أحداً ممّن ظلَمَها.

فكانــتْ أوّلَ شــهيدةٍ مــن آلِ بيــتِ محمّدٍ(ص)، فالسّــلامُ عليــكِ يا بنتَ النّبـيِّ (ص) يـا صدّيقةُ، وعلـى أبيكِ وبعلــكِ وبنيكِ يومَ وُلِدتِ، ويومَ مِتِّ، ويومَ تُبعثينَ حيّةً.

